عدم الاعتبار بكثرة أهل الباطل ووجوب الاعتصام بالحق

فتأمل هذا تأملا جيدا لعلك أن تسلم من هذه الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس، وهي الإقتداء بالكثرة والسواد الأكبر، والنفرة من الأقل. في زمنه يقولون: كيف تكون أنت وفرقتك وأهل بلدك -تكونون أهل النجاة، وأهل البلاد الأخرى شرقا وغربا تتدعي أنهم أهل هلاك وأنهم مشركون؟ لا عبرة بكثرة أهل الباطل، يقول ابن القيم لا عبرة بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران ولأن الله تعالى أخبر بأن الأكثرين هم الهالكون في قوله تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } { وفي الدار الآخرة يقول الله لآدم أخرج من أمتك بعثا إلى النار، فيقول: من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وواحد في الجنة } لذلك يقول ابن القيم يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان يا سلعة الرحمن ليس ينالها في الألف إلا واحد لا اثنان فإذا كان كذلك؛ فلا يغتر بالكثرة بكثرة الهالكين، ولا ينفر من الأقل. "فما أقل من سلم منها ما أقلهم". ما أقل السالم؛ الله تعالى يقول: { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } صدق عليهم إبليس ظنه؛ لأنه قال: { لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا } لأحتنكنهم؛ يعني يقرمهم بلسانه وتحت حنكه يعني: يهلكهم. " ثم يقول: ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: { ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره } ". الحواريون وهم خواصه كالحواريين مع عيسى وكقوله صلى الله عليه وسلم: { لكل نبي حواري وحواري الزبير } يعني أنه من جملتهم. وأصحاب يأخذون بسنته؛ يعني يتمسكون بها ويقتدون بأمرها، ويهتدون بهديه ويستنون بسنته، { ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف } كما في قول الله تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ } { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ } يعني جاء من بعدهم قوم بعد أولئك المتمسكين: { يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ } . { يقولون ما لا يفعلون } وهذه مصيبة يقولون ما لا يفعلون؛ يدلون الناس بالقول ولكنهم يخالفون، والناس يقتدون بأفعالهم أكثر مما يقتدون بأقوالهم؛ يعظون الناس ولكنهم لا يمتثلون. يقول بعض الشعراء: مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبه أولا يا قوم من أظلم من واعظ خالف ما قد قاله في الملا أظهر بين الناس إحسانا وخالف الرحمن لما خلا لا شك أن هذا واقع كثيرا، وعقوبة من يفعل ذلك أشد العقوبة. تذكرون حديث أسامة بن زيد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى؛ فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر فينا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه } نعوذ بالله! { يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون } يفعلون ما لا يأمرهم به الشرع. { فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل } . جهادهم؛ يعني يدخل فيه قتالهم باليد أو إزالة منكرهم باليد، كما في حديث أبي سعيد الذي عند مسلم { من رأى منكم منكرا فليغيره بيده } فيغير عليهم تغييرا ظاهرا باليد، ومن عجز عن ذلك انتقل إلى اللسان؛ فيكون قد برئ منهم وتبرأ منهم، ومن خاف ضررا إذا جاهدهم بلسانه جاهدهم بقلبه وذلك بأن ينكرهم وينكر عليهم بقلبه، ويتبرأ منهم ويبتعد عنهم، ويبغضهم ويقول: اللهم إنه منكر وإنا له منكرون، فمن لم يكن كذلك؛ بأن جالسهم ووانسهم وحادثهم ومازحهم وأقرهم على ذلك ومدحهم؛ فليس بمؤمن، وليس في قلبه من الإيمان مثقال حبة من خردل. نعوذ بالله.